الخاتمـــة

استنادا إلى نصوص توراتية أسطورية في غاية من الدموية والإجـرام .. والتصفيـة العرقية والإحلال .. قامت الدولة العبرية قديما وحديثا على جماجم وأشلاء الشعب الفلسطيني الأعزل . فالفكر التوراتي السائد في علاقة بني إسرائيل بشعوب المنطقة يحتم عليهم ضرورة إبادة هذه الشعوب بلا شفقة ولا رحمة .. حتى يمكنهم القيـام بالاسـتيلاء علـى الأرض .. وممارسة استيطانهم الإحلالي . *فالحقيقة ــ التي لا خلاف عليها الآن ــ هـو أن اليـهودي الإسرائيلي قد حولته توراته إلى قاتل بلا حدود* [1]. فالنظرة العابرة التي نراها ــ الآن ــ فـي أجهزة الإعلام لوجه الجندي الإسرائيلي الذي يمارس قتل الفلسطيني الأعزل ــ بغلّ غريب ــ توضح لنا مدى تغلغل هذا البعد الديني في داخل النفس اليهودية .. كما تؤكد لنا أن ممارسة هذا الجندي للقتل .. لا تزيد في معناها عن ممارسته لطقوسه التعبدية التي تنادي بها توراته الأسطورية .

وفي الحقيقة ؛ لقد وقفت طويلا والحيرة تغلفني أمام هذه الظاهرة المزدوجة .. رجل أو جندي إسرائيلي .. يقتل فلسطيني أعزل بدافع ديني لا تخطئه العيـن المجـردة .. ومشـاهد سياسي عربي يرفض أن يصدق عينيه بأن دوافع ممارسة هذا القتل هي دوافع دينية بحتة .. بل وينتحل ــ هذا السياسي ــ كل الأعذار حتى لا يعتقد في هذا البعد الدينـي فـي الصـراع العربي الإسرائيلي ..!!!

والسؤال الآن : لماذا يرفض السياسي العربي رؤية هذا البعد الدينـي الواضـح فـي الصراع العربي الإسرائيلي ..؟!!! هل لأنه ينظر نظرة إشفاق إلى الشخص اليهودي .. الـذي مازال يؤمن بالأساطير .. ويتعلق بالخرافات .. ويتمسك بالدين ..؟!!! أم .. لأنه ينظر إلـى الدين على اعتبار أنه قضية بالية .. وأن من أسس الحضارة الحديثة والتقدم .. يجب عليـه إغفال هذا البعد الديني البالي . أم أن رفضه لرؤية هذا البعد الديني الواضح فـي الصـراع العربي الإسرائيلي .. هو ذكاء منه .. لأنه يعلم إنه ــ إذا ما تجرأ وقال بهذا ــ فسيفتح الغرب

---

[1] *وهو ما أدى في النهاية ــ إلى جانب اليأس السياسي والاجتماعي ــ إلى ظهور المقاوم (وليس المقـاتل) الفلسطيني الاستشهادي .*

علينا أبواب جهنم وسيجعلها حربا ــ صليبية ــ مقدسة تنتهي بإبادتنا واستئصالنا من على سطح هذا الكوكب تماما ..!!! أم أن رؤيته للبعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي يلزمنا نحن الآخرين بالتمسك بإسلامنا .. وهو ما لا يتفق وكثير من المعاني التي نتداولها الآن ونتغنى بها ..!!! احتمالات كثيرة قد تصدق أيها أو كلها .. والأيام كفيلة بالإجابة عليها ..!!!

والآن من هم بنو إسرائيل .. قديما ..؟!!!

ففي الكتاب المقدس .. هم عبارة عن .. أسرة واحدة ــ نكرة ولا قيمة لها تاريخيا ــ مكونة من (٧٠) فردا فقط .. كانت تعمل برعي الأغنام والماشية ..!!! وكانت تسكن في بئر سبع شمال صحراء النقب .. من ضمن تجمع سكاني هائل .. هم شعوب المدن الفلسطينية وغيرها من المدن المجاورة . وتنزح هذه الأسرة إلى مصر في عهد يوسف (عليه السلام) .. لتعمل في الطين وَاللَّبِنِ والأشغال النجسة [٢] .. ويتكاثر نسلها .. ويزيد عدد أفرادها بشكل واضح .. فتخرج من مصر في عهد موسى (عليه السلام) ــ ولم تنس قبل خروجها أن تسرق المصريين ــ لتعود إلى المدن السابقة .. لتغزوها وتبيد شعوبها بلا رحمة .. وتستولي على أرضها .. تحت دعوى أو أسطورة دينية .. فحواها أن " الإله " : قد وهبها أرض هذه المدن .. وجعلها تستبيح دماء شعوبها .. لأن جدهم الأعلى " سام " لم ير عورة أبيه " نوح " .. بينما الجد الأعلى " حام " لشعوب هذه المنطقة رأى عورة أبيه " نوح " بدون أن يقصد ..!!!

وتفشل هذه الأسرة ــ بعد ارتكابها لكل هذا الكم الهائل من المذابح البشعة ــ في الاحتفاظ بأرض المنطقة وإبادة شعوبها . فتنزح منها .. وتنتشر في كل أرجاء العالم .. لمدى أكثر من ألفي سنة ..!!! ثم تعود للظهور [٣] مرة أخرى ــ وهي أكثر ضراوة وتوحشا عما سبق ــ وتدعي بحق تاريخي لها في المنطقة ..!!! وهي التي لم يكن لها أي حق ــ إذا ما احتكمنا إلى التاريخ ــ سوى الإدانة والقتل والنفي .. على ما اقترفته أيديهم من إبادة وإجرام .. واغتصاب ونهب لحقوق شعوب المنطقة .. والاستيلاء على أرضها ..!!!

---

[٢] بديهي ؛ تعكس مثل هذه الحقائق التاريخية على بني إسرائيل : الإحساس بالانطوائية .. والدونية (النقص) .. والتشاؤم .. والشك ..!!!

[٣] لا يعنينا هنا نقاء الدم اليهودي . وسواء اختلط هذا الدم بدم أجناس أخرى أو لم يختلط .. فإن هذا لا يغير من الواقع الحالي .. كما لن يغير من منظور سريان الأحداث .

ومن هم بنو إسرائيل .. حديثا ..؟!!!

ويعود بنو إسرائيل للظهور مرة أخرى حديثا في المنطقة [٤] .. بأسطورة وخرافات الماضي ولكن بضراوة أشد .. لتجسد أقصى معاني الإجرام والإرهاب والإبادة لشعب فلسطين الأعزل . وتستقطب معها عالما مغيبا فكريا .. أقنعته ــ دينيا ــ بحقها في المنطقة كما أقنعته بإدانة الشعب الفلسطيني الأعزل واتهامه بالإرهاب . وتجري الأحداث على النحو التالي ..

- يقوم بنو إسرائيل بالاستيلاء على (٥, ٥ إلى ٦)% من مساحة أرض فلسطين بالشراء القسري من الفلاح الفلسطيني المرهق ضرائبيا وهو تحت الانتداب البريطاني في الفترة من (١٩٢٠ – ١٩٤٨) وهيئات أخرى (أنظر تذييل رقم ٨ من الفصل الخامس) ثم تروج إسرائيل بعد ذلك بأنها اشترت أرض فلسطين كلها من الفلسطينيين ..!!!

- ثم تضيف الأمم المتحدة لبني إسرائيل ٤٦% (أو ٤٨%) من إجمالي مساحة فلسطين .. بقرار التقسيم الجائر رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ .. وهو قرار لا حق ــ أصلا ــ للأمم المتحدة في إصداره .. ليصبح إجمالي ما اغتصبه واستولى عليه بنو إسرائيل ٥٢% (أو ٥٤%) من إجمالي مساحة فلسطين . وعقب صدور القرار يقوم بنو إسرائيل بتفريغ المدن والقرى الفلسطينية من سكانها (ليحلوا محلهم) .. بإرهاب .. ومذابح عرقية .. لا مثيل لها في التاريخ ..!!!

- ولم يكتف ــ بنو إسرائيل ــ بهذا .. بل قاموا بالاستيلاء على ٢٦% (أو ٢٤%) إضافية من مساحة فلسطين .. وذلك عقب مواجهة هزيلة (أو مهزلة عسكرية) مع بعض الدول العربية (مصر ــ سوريا ــ لبنان ــ الأردن ــ العراق) في حرب ١٩٤٨ .. وفرض هدنة ١٩٤٨ عليهم ..!!! وبهذا أصبح إجمالي ما تم الاستيلاء عليه ٧٨% من إجمالي مساحة أرض فلسطين .

---

[٤] لا يخفى على أحد أن سنوات المواجهة الطويلة مع إسرائيل .. كانت سنوات ازدهار لأنظمة الحكم الفردية الشمولية في العالم العربي .. وهي أنظمة غير ديموقراطية لا تسمح بتداول السلطة ..!!! ومثل هذه الأنظمة بطبعها تعيش حالة يومية من إعلان الحرب الداخلية على مواطنيها .. تكمم كبريائهم .. وتهزم فيهم الكرامة الوطنية .. واستقلالية الرأي .. وحق الاجتهاد والتفكير الحر .. مادام النظام لا يقاء له إلا بضمان طاعة المواطنين العمياء للفكر الشمولي الجاري العمل به .. وتقبلهم لهذا الفكر من باب القهر أو باب الاستسلام والرضا بواقع الحال خشية العواقب ..!!! هذه الدول المهزومة في الداخل لا يمكن أن تكون منتصرة في أي مواجهة على حدودها مع عدو من الخارج . فالمواطن العربي المكبل عقله وإرادته .. مطلوب منه أن يواجه بصدره عدوا .. بينما الرصاص مصوب إلى ظهره ..!!! فهذا هو واقع الحال الذي يغذي الغطرسة الإسرائيلية ــ الآن ــ والذي يزيدها تضخما ..!!! [عن جريدة الأهرام في عددها الصادر في : ٢٠٠٠/٦/٢٨]

- ثم تقوم مهزلة حرب (يونيو ١٩٦٧) .. ليستولي بنو إسرائيل على باقي الأرضي الفلسطينية .. وتصدر الأمم المتحدة قرارها رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .. والذي يقضي بانسحاب إسرائيل من أراضي عربية احتلت عام ١٩٦٧ (متعامية بذلك عن قرار التقسيم المجحف السابق رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ والذي قضى بتخصيص ٥٢% فقط من الأراضي الفلسطينية لإقامة دولة إسرائيل عليها) .. لتسبغ شرعية دولية كاذبة على استيلاء إسرائيل على الـ (٧٨%) من مساحة فلسطين ..!!!

- ولم يعد ــ الآن ــ للشعب الفلسطيني (والشعوب العربية) سوى الرضوخ للأمر الواقع ..!!! والشعب العربي كله ــ الآن ــ يساوم إسرائيل للتخلي للفلسطينيين عما تبقى من أرض فلسطين .. أي الضفة الغربية .. وقطاع غزة .. أي الـ ٢٢% من مساحة دولة فلسطين . إلا أن ما تساوم عليه إسرائيل ــ وفي أحسن الحالات ــ على إعطاء الفلسطينيين ٤٢% من الـ ٢٢% من أرض فلسطين .. أي ما يساوي حوالي ٩% فقط من إجمالي مساحة أرض فلسطين مع الاحتفاظ بمدينة القدس .. وجعلها عاصمة أبدية لهم . بل وما زال أغلبية الشعب الإسرائيلي ينادي بتفريغ الضفة الغربية .. وقطاع غزة من الفلسطينيين . أما حق عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم .. فهو أمر مرفوض على نحو مطلق .. ولهذا فإن مسلسل الإبادة والتطهير العرقي للشعب الفلسطيني يجري أمام أعيننا .. وتحت سمعنا .. ونحن لا نحرك ساكنا .. لضعفنا المتردي .. الذي انتهينا إليه ..!!!

- وليس هذا فحسب .. بل تتسع رؤية بني إسرائيل هذه المرة .. وتتوحش في إجرامها عما سبق .. ويعلنوا عن عزمهم ــ بعد إحياء تراثهم التوراتي ــ في إقامة دولة إسرائيل الكبرى من نهر النيل في مصر غربا .. إلى نهر الفرات في العراق شرقا .. وحتى المدينة المنورة في السعودية جنوبا ..!!! كما يعلنوا عن عزمهم في نقل رفات النبي (ﷺ) إلى متحف اللوفر بباريس ..!!

فهذه إسرائيل الحديثة .. وهذه هي خططها المعلنة .. فهل آن لنا أن نصدق ما يقولون به .. وما يقومون بتنفيذه .. أم نحن نيام .. أم نحي غيبوبة ..؟!!! حتى نسمع كل هذا ولا نعي ما يحاك حولنا .. ولا أدري متى نفيق ..!!! بل وليس هذا فحسب أي ليس الأمر اقتصر فقط على الاستحواذ على الأرض .. وإبادة الشعوب .. وتفريغ المنطقة من السكان .. بل أيضا يعلن

اليهود عن عزمهم (ومعهم الآخرون) على إبادة شعوب العالم الإسلامي .. ومحو الإسلام من الوجود .. وبغض النظر عن ظاهر الكلام الذي يمكن أن يقولوا به لنا ..!!!

إن البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي أوضح من أن تخطئه العين المجردة .. ومع ذلك يتجنبه الساسة والمفكرون تماما وبشكل استفزازي .. في حواراتهم .. وفي تحليلاتهم .. وحتى عند تناولهم لكيفية حل المشكلة الفلسطينية ..!!! والآن ؛ لماذا لا نكون صرحاء وموضوعيين ونعترف بالأمر الواقع ..؟!!! ولماذا لا نعترف ــ حقيقة وبشكل قاطع ــ أن حل المشكلة الفلسطينية ومعها مشكلة الشرق الأوسط .. ينحصر في أمرين لا ثالث لهم .. هما ..

أولا : العمل في المجال الفكري والإعلامي .. وضرورة التوجه بالخطاب إلى الآخرين ..

ونعني به توعية البشرية جمعاء بمفهوم التحول في النموذجين : " التحول في النموذج الإسرائيلي " و " التحول في النموذج الديني : *Paradigm Shift in Religion* ". والتحول في النموذج الديني يعني في أقل معانيه يعني : " الانتقال بالقضية الدينية من حيز الوهم والاعتقاد إلى حيز القضايا العلمية الراسخة .. ومن منظور آخر ؛ الانتقال بالقضية الدينية من المفهوم النسبي إلى المفهوم المطلق " . فلا معنى لسلام يمكن أن يتحقق بين الإنسان وأخيه الإنسان على سطح هذا الكوكب المحدود ــ كوكب الأرض ــ مالم يتنبه الإنسان إلى حقيقة وجوده .. وحقيقة الغايات من خلقه . وينطوي هذا الحل ليس فقط على تخليص إسرائيل من شرور نفسها فحسب .. بل ينطوي هذا الحل أيضا .. على تخليص العالم بأسره من شرور نفسه . فالدعوة إلى " التحول في النموذج الديني " هي الباب المفتوح على مصراعيه للبشرية جمعاء لكي تكون شعب الله المختار .. وهي الأصل في الغايات من خلق الإنسان .

فلابد للعالم أن يعي معنى الدين والغايات من الخلق . **كما ينبغي للبشرية أن تعي أن انتهاء الإسلام معناه الانتهاء الوجوبي للبشرية** . إذن ؛ فالمحاولة المبذولة من جانبنا ــ للدعوة إلى التحول في النموذج الديني ــ ليست سوى السعي لإنقاذ هذا العالم من الهوة السحيقة التي سوف يتردى إليها بدون أن يدري ..!!!

كما ينبغي العلم بأننا عندما ننادي بهذا التحول .. فنحن لا ننادي بما لا نفهم أو لا نعي .. بل ننادي بما لـه من براهين رياضية وفيزيائية راسخة . كما وأن إنقاذ العالم .. لا يعني سوى إنقاذ أنفسنا ــ أيضا ــ من الهلاك ..!!! **فالدين ليس رفاهية إنسانية قد يؤخذ به أو لا يؤخذ به ..!!!**

ثانيا : العمل في المجال العسكري ..

أما الأمر الثاني من العمل على حل مشكلة الشرق الأوسط .. فهو العمل في المجال العسكري .. ونعني به ضرورة تحرك العالم الإسلامي نحو تنمية إمكاناتهم النووية .. وامتلاك السلاح النووي بأي شكل .. كما ينبغي السعي نحو تملك تكنولوجيا التسليح الحديث . إن انتظار ساستنا وكبراؤنا أن تأتي إدارة أمريكية ما ــ في وقت ما .. وفي عصر ما .. وعلى فكر ما ــ لكي تنتصر للحق .. وتعطينا حقوقنا المسلوبة .. هو انتظار الأعمى القابع في صحراء قاحلة لا يستره حائل عن شمسها المحرقة .. ولا يوجد فيها حتى الماء .. الذي يمكن أن تتلمسه شفتاه الجافة المرهقة .. إنه ذلك الأعمى الذي ينتظر أن يجد من يقوده خارج هذه الصحراء القاحلة .. ولا يحرك ساكنا .. حتى يهلك ..

فلابد لنا من الاعتراف ؛ بأنه ليس هناك أدنى احتمال للتأثير على إسرائيل من الجانب الأمريكي ــ أو حتى الغرب المسيحي ــ بأي شكل من الأشكال .. **أولا** : للاعتبار الديني من جانب .. وفي مقدمة هذا الاعتبار اعتقاد الأمريكيين ــ والغرب المسيحي ــ في العقيدة الألفية السعيدة .. **وثانيا** : لأن إسرائيل أصبحت تمتلك ترسانة نووية .. يمكن أن تكون مصدرا لتهديد الكثير من دول العالم . بل أزيد وأقول بالعكس .. بأن إسرائيل وبترسانتها النووية استطاعت أن تبتز أمريكا ــ فعلا ــ في خلال حربها مع العرب في عام ١٩٧٣ . وهو ما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية بالاستجابة لكل مطالب إسرائيل وإمدادها بأحدث ما أنتجته ترسانتها من السلاح .

لقد فات الأوان .. كما فات الوقت تماما .. في أن نعتقد في أن الولايات المتحدة الأمريكية ــ أو أي دولة أخرى ــ يمكن أن تؤثر على إسرائيل سلبا أو إيجابا .. لكي تعدل من سياستها الإبادية .. والإجرامية .. نحو لشعب الفلسطيني .. أو تثنيها عن الكف عن تنفيذ طموحاتها في المنطقة بإقامة دولة إسرائيل الكبرى .. تمهيدا لإقامة دولتهم العظمى ..!!!

إن إبادة الشعب الفلسطيني والاستحواذ على أرض فلسطين بالكامل .. وقيام اليهود بالاستيطان الإحلالي الان .. **واتخاذ القدس عاصمة أبدية لهم (أي لإسرائيل)** .. هي جزئية أساسية من الاعتقاد الديني الراسخ ليس فقط في فكر الشعب الإسرائيلي والشعب الأمريكي .. بل هو أيضا الاعتقاد الديني الأساسي لكل من هو مسيحي على نحو مطلق . بل أن هذا الاعتقاد يمثل حجر الزاوية أو الأساس في فكر الخلاص والبعث المادي والروحي للفرد المسيحي ..!!!

وأرجو ألا يعجب القارئ المسلم .. إذا علم أن إبادة الشعوب الإسلامية ــ وليس الشعب الفلسطيني فحسب بالمعركة المرتقبة التي تعرف باسم : " **معركة الأرماجدون** " [٥] ــ هو جزئية أساسية من الشعيرة المسيحية ..!!!

إن الأمر أصبح في جوهره يتلخص في تامر الشيطان على إضلال الجنس البشري .. وأرجو أن يتنبه إلى هذا المعنى .. من لا يرى هذا المنظر ــ من الساسة ــ على حقيقته .. ويعتقد أننا ــ مرضى ــ وقعنا أسرى أو ضحية لـ " **فكر المؤامرة** " .. بينما لا توجد مؤامرة أو خلافه إلا في فكرنا المريض فحسب ..!!! وأعجب لوجود كل هذا الكم الهائل من الشواهد التي تكاد تعمي الأبصار لـ " **فكر المؤامرة** " .. وإلى حد الاعتراف الصريح لليهودية والمسيحية الغربية بهذا (السعي نحو الأرماجدون) .. ومع ذلك لا يريد .. من يدير فكر هذا الصراع .. من جانبنا أن يراها ..!!! فعجبا .. وألف عجب ..!!! **وحتى أصبح الكاتب يتساءل : هل لا يرون المؤامرة حقا .. أم هم جزء من المؤامرة ذاتها ..؟!!!**

إن الوجود الإسرائيلي ــ كما تعلم إسرائيل هذا جيدا ــ مقترن بزوال الإسلام من الوجود . وبديهي ؛ تضع إسرائيل هذا نصب أعينها .. وتعمل بكل قوة يساندها في هذا العالم المسيحي .. بدوافع البعد الديني في هذا الصراع .. .. للعمل نحو محو الإسلام من الوجود .. وهم لا يدرون أنهم ــ ببساطة شديدة ــ يمحون أنفسهم معه ..!!! **لأن انتهاء الإسلام لا يعني سوى الانتهاء الوجودي للبشرية .. كما برهنا على ذلك من قبل ..!!!**

إن الصراع العربي الإسرائيلي .. وإن كان ظاهره سياسي أو حتى ديني .. فإن جذوره تمتد ــ في حقيقة الأمر ــ إلى الصراع الأزلي القائم بين قوى الخير وقوى الشر الكامنة في النفس البشرية . ولقد بذلت غاية جهدي في هذا الكتاب لوضع الحقائق الكلية ــ والتي لا تقبل الجدل ــ بين يدي العالم العربي .. والعالم الإسلامي أيضا .. لبيان الأخطار المحيطة بهذه

---

[٥] للتفاصيل أنظر : " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب . يطلب من مكتبة وهبة .

الأمة . وكما أن الغرب توحده الكراهية ضد الإسلام .. فأرجو أن يوحد العالم العربي والعالم الإسلامي إحساسهم بالأخطار المحيطة بهم (هذا إن كان لديهم إحساس أصلا ..!!!) . كما وأن عليهم تسخير كل إمكانياتهم المادية والعلمية بجدية (وليس بشعارات استهلاكية) .. ليس فقط في درء الخطر الصهيوني عنهم فحسب .. بل في درء خطر العالم عنهم والتغلب عليه إذا ما اجتمع عليهم ..!!!

إن الحل الوحيد لمشكلتنا ليس في أيدي الاخرين .. بل في أيدينا نحن .. ويتلخص هذا الحل ــ فيما سبق عرضه ــ هو لجوءنا إلى الله سبحانه وتعالى وإلى تغيير ما بأنفسنا . إن امتلاك العالم الإسلامي لترسانة نووية سوف يجعل العالم الغربي واليهودي معا .. يجلسان معنا ــ صاغرين ــ على نفس مائدة الحوار المتكافئ .. لأنهم سوف يعون في هذه الحالة ــ وفي هذه الحالة فقط وليس قبلها ــ **أن قتلنا يعني قتلهم .. كما وأن إبادتنا تعني إبادتهم (وشهداؤنا في الجنة .. وقتلاهم في النار)** .. ولكن يظل الفارق الشامخ بين ديننا الحضارة .. وبين دينهم الوثني .. قائما . كما يبقى الفارق الشامخ بين مصيرنا ومصيرهم .. ذلك الفارق الذي سوف يحكم الحوار .. وينهي القرار .. فهو الفارق الإيماني بيننا وبينهم .. والذي يتلخص في قوله تعالى ..

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾

(القران المجيد : ال عمران {٣} : ١٣٣)

أما هم ومصيرهم .. فلن يتجاوز معناه .. عن قوله تعالى ..

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٩٦)

وأخيرا أشير إلى ضرورة الاحتكام إلى القانون الدولي .. لعرض سيناريو أحداث الكتاب المقدس في كيفية استيلاء بني إسرائيل على الأرض وإبادة شعوب المنطقة .. لدحض الدعوى بحقهم التاريخي في المنطقة .. وهو ما يؤدي إلى فكر : " التحول في النموذج الإسرائيلي " . وأؤكد أن القائمين على القانون الدولي لن يجدوا صعوبة تذكر في إدانة بني إسرائيل وإسقاط كل حق تاريخي لهم في المنطقة وفي الأرض .. ولن يكون حكمهم النهائي على بني إسرائيل .. سوى الخيار بين أحد أمرين .. لا ثالث لهما :

- إما أن يبقوا في المنطقة تحت مظلة دولة فلسطينية ديموقراطية .
- أو : يرحلوا عن المنطقة .. حيث لا حق لهم تاريخيا ــ على نحو مطلق ــ في إقامة دولتهم : " إسرائيل " المزعومة .. على أنقاض الدولة الفلسطينية .

وبديهي ؛ لن يكون هناك أذن صاغية لذلك .. ولكن لابد من الإصرار على هذا العرض ..

ولحين امتلاكنا لترسانتنا النووية .. وتسليحنا الحديث [٦] .. لا بأس لنا .. في أن نقيم معهم حوارا .. على سبيل الزعم والافتراض ..!!! ولا بأس لنا .. في أن نرضخ لكل ما يفرضوه علينا .. ولا بأس لنا .. من أن نتغنى معهم .. بأغنية : " الشرعية الدولية .. والحل العادل .. للمشكلة الفلسطينية " ..!!! وهي الأغنية التي لا أجد أعجب من كلماتها في الوجود . فأي : " عدل .. هذا " .. في دعم مغتصب للأرض وقاتل لمالكها . وأي " شرعية دوليه " هذه .. التي تفرض علينا قبول هذا القاتل والمغتصب لأرضنا والولاء له ..!!!

ولا أدري لماذا نتورط في ترديد مثل هذه العبارات : " الحل العادل " .. و " الشرعية الدولية "..!!! فهل هو نوع من خديعة النفس ..؟!!! أم نرددها لكي نتواري بها خجلا من أنفسنا .. ومن التاريخ .. ومن أجيالنا القادمة ..!!! فكيف لنا أن نسمى القتل والإبادة العرقية والاغتصاب والنهب الذي تفرضه علينا إسرائيل .. والولايات المتحدة الأمريكية .. بأن هذا هو ***: " الحل العادل .. وبأن هذه هي الشرعية الدولية .. للمشكلة الفلسطينية " .. ألم يحن الوقت بعد لرؤية هذه : " الشرعية الدولية " ليست سوى : " شرعية الغاب " و " اجتماعية دارون " في أحط وأبشع صورها ..!!! وأتمنى أن تتنبه شعوب المنطقة .. إلى أنه عندما يحل الدور علينا .. فلن يكون للحل العادل والشرعية الدولية معان مختلفة عما هي عليه الآن ..!!!***

فلماذا لا نتحلى بقليل من الشجاعة ونعترف بهذا الذل .. وبهذه المهانة .. وبهذا العار .. وأن علينا قبول سلامهم المزعوم هذا .. وعلينا أن نسلم بكل ما يفرضوه علينا بالقوة .. وبأي شكل .. ***وهو لن يكون سوى سلام يحمل في طياته بذور حروب أخرى ..!!! حروب أخرى لا نسترجع بها هويتنا الحقيقية فحسب .. بل نسترجع بها أيضا .. هوية الإنسان والإنسانية بأسرها . هوية ذلك الإنسان .. الظلوم لنفسه .. الجهول بحقيقة وجوده ..!!!***

---

[٦] لابد من الإشارة هنا إلى أن من أهم مهام اللوبي الصهيوني الأمريكي (أيباك : AIPAC) هو دفع الولايات المتحدة للعمل على تأمين إسرائيل ضد أي هجوم بالأسلحة غير التقليدية . وبالتالي ؛ ليس فقط على الولايات المتحدة مراقبة تطور التسليح في الدول العربية .. بل عليها أيضا الوقوف بكل قوة ضد ــ بل وإجهاض ــ أي بحوث في مجال التسليح غير التقليدي الذي يمكن أن تقوم به هذه الدول . والسؤال الآن : هل ستستطيع الدول العربية كسر هذا الحصار البحثي .. مثل ما كسرته باكستان ..؟!!! أم أن كسر هذا الحصار أصبح أمر مستحيلا على العرب ..!!! وأكرر .. إن كسر هذا الحصار أصبح الأمل الوحيد في بقاء العرب في هذا الوجود ..!!!

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّـهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّـهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّـهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّـهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) ﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ١٤ - ١٦)

[ويذهب غيظ قلوبهم : أي يذهب الغيظ عن قلوب المؤمنين / وليجة : بطانة من المشركين]

إن العزاء ــ كل العزاء ــ أنني لم أقم بطمس حقائق هذا الصراع في هذا العرض .. بل حاولت أن تظل هذه الحقائق قائمة وشامخة .. حتى وإن كانت شهادة عار على جيلنا .. وإدانة بالغة لنا .. ولكني جاهدت نفسي لكي أنقل الصورة الحقيقية .. بأمانة لأجيالنا القادمة لعلها تستطيع حمل هذه المسئولية التي لم نستطع حملها .. مسئولية إنقاذ هذا العالم من شرور نفسه .. ومن شرور أنفسنا ..!!! مسئولية قد تحملها أجيالنا القادمة بحقها ..!!! أما نحن ــ هذا الجيل ــ فعلينا أن نبتهل إلى الله (ﷻ) .. **أملا في العفو .. وطلبا للصفح في كل ما فرطنا فيه .. في حق البشرية .. وفي حق أنفسنا .. وفي حق فلسطين ..!!!**

وتبقى ابتسامه أكاد أخفيها .. وإن كانت تفضحني فيها عيناي .. وأنا أقف لأشاهد الساسة ــ **والمفكرين المشوهين** ــ عندما لن يجدوا لديهم سوى الإسلام دينا .. وبأنه هو المخرج الوحيد .. ليس فقط من كل أزماتنا الراهنة .. بل هو ــ أيضا ــ المخرج الوحيد للبشرية الضالة من كل أزماتها الفكرية والثقافية والحضارية .. وإلا فالبديل .. لن يكون سوى الإبادة لنا ولأبنائنا ولأحفادنا .. في أبشع معانيها على يد حضارة الغرب الدينية واللادينية .. ودولة إسرائيل الدينية ..!!!

وعندئذ لن يبقى لنا سوى الأمل في موت .. قد نرى في ظاهره رحمة .. بينما لن يكون في باطنه سوى العذاب ..!!! لأننا لن نجد في هذا الموت سوى ملائكة العذاب في الانتظار .. لتهوى بنا إلى جحيم عادل .. لأمانة لم نستطع حملها بحقها ..!!! وعندما أشير إلى **المفكرين المشوهين** .. فأنا لا أقصد بهذه الصفة تهكما ما ــ أستغفر الله ــ بل هو تقرير حالة لحقائق قاطعة .. يطول شرحها .. ولا تحتملها هذه الخاتمة المحدودة .. وأرجئها لكتاب آخر .. ***إن شاء الله .. هو كتاب .. " حوار الأديان .. "***